القلــب بين السّلامة والرّان

د. وقيـع الله قسم السّيِّد أحمد (*)

مقدمة:

إنّ الله سبحانه وتعالي خلق الإنسان في أحسن تقويم حيث قال:"لَقَــدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ"[التّين:٤]، وهداه إلى الطّريــق القــويم فقــال تعالى: "إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً"[الإنسان:٣]، وحثــه علــى تزكية نفسه وتطهيرها فقال تعالى:"قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى"[الأعلــى:١٤]، فعلــى الإنسان أن يهتم بتهذيب نفسه، ومن أهم أعضاء الإنسان التي يجــب عليــه الاهتمام بها القلب، لأن سلامة القلب وصلاحه هي الطّريق المُوصِّــل إلــى سلامة الجسد كله لقوله صلي الله عليه وسلم "إلاّ وإن في الجسد مضــغة إذا صَلُحَتْ صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلاّ وهي القلب"[1].

وفي هذا البحث يحاول الباحث أن يقف على هذا العضو المهم فــي الإنسان وهو القلب لمعرفة وسائل سلامته، وأسباب فساده، وأهمية القلب بين بقية أعضاء الجسم، وما هي آثار المعاصي عليه؟ وكيف يطهّر الإنسانُ قلَبه ويزكِّيه؟

مشكلة البحث:

القلب هو أهم أعضاء الإنسان؛ ولذلك لابد مــن المحافظــة عليــه والاهتمام به ليكون سليماً معافى من الأمراض المادية والمعنوية، والمحافظة

(*) أستاذ مساعد في أصول التربية، عميد مدرسة الألسن جامعة القــرآن الكــريم والعلوم الإسلامية.

[1] البخاري. الصّحيح، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة بيــروت، لبنــان، ١٩٨٧م، ج١، ص٢٨.

عليه ليس أمراً سهلاً ما لم يكن الإنسان يقظاً فطناً وذلك لكثرة الوسائل التي تحول بين القلب وعوامل سلامته وفي هذا البحث يحاول الباحثُ الإجابة عن الأسئلة التّالية:-

١ــ ما معنى القلب؟

٢ــ ما وسائل سلامة القلب؟

٣ــ ما مفسدات القلب؟

٤ ــ ما آثار المعاصي على القلب؟

٥ ــ ما وسائل دخول الشّيطان للقلب؟

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من أهمية القلب بين سائر الجوارح وأعضاء الجسم، والقلب يكتسب أهميته من عدة أمور منها[١]:-

١. إنّ الله جعل للقلب مكانة خاصة، وجعل سعادة العبد في سلامة قلبه لقوله تعالى:"يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ{*} إلاّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ"[الشّعراء:٨٨-٨٩].

٢. إنّه المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كلّه وإذا فسدت فسد الجسد كله.

١ مجلة دراسات دعوية. جامعة إفريقيا العالمية، يوليو، ديسمبر، ٢٠٠٨م، ص٧٢.

٣. إنّ القلب محل الإيمان لقوله تعالى: "...أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَــانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ"[المجادلة:٢٢].

٤. إنّ القلب محل النّية والقصد وكل أعمال العبد موقوفة على النّية والقصد وذلك لقوله صلي الله عليه وسلم "إنما الأعمال بالنّيات وإنما لكل امــرئ مانوى"[١]

أهداف البحث:

يهدف الباحث من هذه الدّراسة إلى التّالي:ــ

١ــ لفت الانتباه إلى أهمية المحافظة على القلب.

٢ــ بيان الوسائل التي تؤدي إلى فساد القلب.

٣ــ بيان الوسائل التي تقود إلى سلامة القلب.

٤ــ التّعرف على خطورة المعاصي على القلب

منهج البحث:

اتبع الباحث في هذه الدّراسة المنهج الوصفي التّحليلي.

١ البخاري. الصّحيح، مرجع سابق، ج ١، ص١.

المبحث الأول

مفهوم القلب وأقسامه

القلب في اللغة:

القلب هو "عضو عضلي أجوف يستقبل الدّم من الأوردة ويدفعه في الشّرايين وقد يعبّر بالقلب عن العقل، وقلب كل شيء وسطه ولبه ومحضه"[1] وقال بعضهم سمي القلب قلباً لتقلبّه.

قال الشّاعر:

ما سمي القلب إلاّ من تقلُّبِه * والرّأي يصرف بالإنسان أطواراً[2]

القلب في الاصطلاح:

قال الجرجاني "القلب لطيفة ربانية، لهــا بهــذا القلــب الجســماني الصّنوبري الشّكل المودع في الجانب الأيسر من الصّدر تعلُّق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان".[3]

وقد عرفه الإمام الغزالي بقوله: لفظ القلب يطلق لمعنيين[4]:

أحدهما: اللحم الصّنوبري الشّكل المودع في الجانب الأيسر من الصّدر، وهو لحمٌ مخصوصٌ وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التّجويف دمٌ أسودٌ، هو منبــع الرّوح ومعدنه، ولسنا نقصد. الآن شرحه وكيفيته، إذ يتعلــق بــه غــرض

---

١. إبراهيم مصطفي وآخرون. المعجم الوسيط، دار الدّعوة، ج ٢، ص ٧٥٣.

٢. أبو منصور، تهذيب اللغة. دار إحياء التّراث العربي بيــروت، ط١، ٢٠٠١م، ج٩، ص١٤٣.

٣. الجرجاني. التّعريفات، دار الكتاب العربــي، بيــروت،ط١، ١٤٠٥هـــ، ج١، ص٢٢٩.

٤. الإمام الغزالي. إحياء علوم الدّين، دار الجيل بيروت، بدون طبعة (د. ت) ج٣، ص١١٣.

الأطباء ولا تتعلق به الأغراض الدّينية، وهذا القلب موجود حتى للبهائم، بل موجود للميت.

المعني الثّاني للقلب: هو لطيفة ربانية روحانية، لها بهذا القلــب الجســماني تعلُّق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان. وهي المُدْرِكْ العالم العــارف مــن الإنسان وهي المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب، ولها علاقة مع القلب الجسماني.

والباحث في هذه الدّراسة يعني بلفظ القلب هذه اللطيفة الرّبانية الرّوحانيــة وما يتعلق بها من أوصافٍ وصحةٍ ومرضٍ.

قال الدّكتور حسن إبراهيم "القلب أحد مكونات الذات الإنسانية وعلى الرّغم من ذكر القران الكريم لكلمة القلب أكثر من مائة وثلاثين مرة فإنه لم يقصد بها الدّلالة على القلب بمعناه التّشريحي ولكن قصد بالكلمة التّعبير عن جهاز إدراكي معرفي بالغ التّعقيد متعدد الوظائف"[1].

أقسام القلوب:

قسم العلماء القلوب إلى ثلاثة أقسام. قال ابن القيم:لما كان القلب يوصــف بالحياة وضدها أنقسم بحسب ذلك إلى هذه الأحوال الثّلاث[2]:-

١. حسن إبراهيم. مقدمة في فلسفة التّربية الإسلامية، عالم الكتب للنشر والتّوزيع، الرّياض، ١٩٨٥م، (د.ت)، ص١٩٧.

٢. ابن القيم. إغاثة اللهفان من مصائد الشّيطان، مكتبة الصّفاء، القــاهرة، (د. ت)، ٢٠٠١م، ص١٧.

أولاً: القلب الصّحيح

وهو القلب السّليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلاّ من أتى الله بــه،وذلك لقوله تعالى:"يَوْمَ لا يَنفَعُ مَــالٌ وَلا بَنُــونَ{*} إلاّ مَــنْ أَتَــى اللَّــهَ بِقَلْــبٍ سَلِيمٍ"[الشّعراء:٨٨-٨٩].

وقد اختلفت عبارات النّاس في معنى القلب السّليم، والمعنى الجــامع لذلك "أنه الذي قد سَلِمَ من كلِّ شهوةٍ تخالفُ أمر الله ونهيه، ومن كل شــبهة تُعارضُ خَبَرَهُ، فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رســول الله صلى الله عليه وسلم"[١].

قال ابن القيم "القلب السّليم هو الذي سلم أن يكون لغير الله فيه شرك مَا ؛ بل قد خلصت عبوديته لله تعالى، إرادةً ومحبةً وتوكُّلاً وخشية ورجاءً وخلــص عمله لله، فإنْ أحبَّ أحبَّ في الله، وإن أبغض أبغض لله وإن أعْطَى أعطــى لله وإن منعَ منع في الله، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتّحكيم لكــل مِنْ عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٢].

ويوصف القلب الصّحيح بالأجرد الأبيض قال الدّكتور صلاح الدّين عوض:"ويوصف هذا النّوع من القلوب بالأجرد؛ لأنّه تجرَّد من كلِّ شــيء سوى الله ورسوله، من شبهات وشهوات"[٣].

وقال ابن سيرين رحمه الله:"القلب السّليم:هو الذي يعلم أن الله حــق، وأن السّاعة قائمة، وأن الله يبعث من في القبور" [١]. وقال ابن رجب رحمــه

١. المرجع سابق، ص١٧.
٢. المرجع سابق، ص١٧.
٣. صلاح الدّين عوض محمد. منهج الإسلام في التّزكيــة والإصــلاح، المركــز القومي للإنتاج الإعلامي، (د.ت)، ص٢١.

الله:"القلب السّليم:هو السّالم من الآفات والمكروهات كلها وهو القلب الــذي ليست فيه سوى محبة الله وما يحبه الله، وخشية الله، وخشية ما يباعد عنه"[٢].

فالقلب السّليم هو قلب ملئ بالنّور الهادي إلى الصّراط المستقيم والمنجي من الوقوع في الفتن وهذا قلب نادر في زماننا هذا.

ثانياً: القلب الميت:

القلب الميت ضد القلب الحي فهو لا يعرف ربه ولا يعبده بــأمره، وهو متبع لهواه وشهوته ولا يمتثل أوامر الله ولا يجتنب نواهيه، فإن أحــبَّ أحب لهواه وإن أبغضَ أبغض لهواه، ويعطي لهواه.

وهذا القلب الميت يسمى بالقلب القاسي وهذا ما تتصف بــه قلــوب الكفار، قال تعالى:"فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَــوْتَى وَيُــرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَــارَةِ أَوْ أَشَــدُّ قَسْوَةً"[البقرة:٧٣-٧٤].

وقال ابن القيم في تعريف القلب الميت القاسي:"هو الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه بل هــو واقــف مــع شهواته ولذاته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو متعبد لغيــر الله:حبــاً وخوفاً ورجاءً وسخطاً وتعظيماً، إن أحبَ أحب لهواه، وإن أبغض أبغــض لهواه، فالهوى إمامه والشّهوة قائده"[٣]. فالقلب الميت خالي من الرّحمة واللين، غليظ في تعامله وسلوكه وذلك بسبب ما علاه من ذنوب.

---

١. القرطبي. التّفسير، دار الشّعب القاهرة، بدون طبعة، بدون تاريخ، ج ١٥، ص ٩١.

٢. مجلة دراسات دعوية. جامعة أفريقيا العالمية، العدد (١٦) يوليــو – ديســمبر ٢٠٠٨م، ص٩٠.

٣. ابن القيم. مرجع سابق، ص١٨.

ثالثًا:القلب المريض:

القلب المريض هو قلب حي ولكن به علة ومرض، قال ابن القــيم في القلب المريض:"قلب له حياة وبه علة فله مادتان تمدَّه هذه مــرة وهــذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمــان بــه والإخلاص له، والتّوكل عليه:ماهو مادة حياته، وفيه من محبــة الشّــهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها، والحسد والكِبْر والعجب، وحــب العلــو والفساد في الأرض بالرّياسة:ما هو مادة هلاكه وعَطَبِه"[1] ومــرض القلــب يصيب المؤمن إذا ارتكب المعاصي أو قصَّر في أداء الفرائض فــإن تــاب وترك المعاصي سلم قلبه من المرض، فإذن مرض القلب لــيس كمــرض الجسم الذي يمرض بواسطة جراثيم ناقلة للمرض بل جرثومة مرض القلب هي ارتكاب المعاصي والذنوب وذلك لقوله صلي الله عليه وسلم:"إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، فإن زاد زادت فذلك الرّان الذي ذكره الله في كتابه:"كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّــا كَانُوا يَكْسِبُونَ"[المطففين:١٤]"[2].

وأمراض القلب توجد بشدة عند المنافقين وتبلغ ذروتها عند الكافرين قال تعالى: عن المنافقين: "أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاء لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ"[محمد:٢٩-٣٠]. وقال تعالى: عن مشركي أهل الكتاب: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَــيْكُمْ

١. ابن القيم. المرجع السّابق نفسه، ص١٩.
٢. ابن ماجة. دار الفكر، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ، ج٢، ص١٤١٨.

فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ"[الصّف:٥] فأخطر أمراض القلوب النّفاق والكفر والرّياء والكبر والعُجُب.

المبحث الثّاني

مفسدات القلب

للقلب وسائل كثيرة تؤدي إلى فساده وظلامه ومن أبرزها الــذنوب وهنا يحاول الباحث أن يقف على بعض هذه المفسدات لبيان دورها في فساد القلب ومن هذه المفسدات:

١/ المعاصي

المعاصي هي خلاف الطّاعات وهي كثيرة فكل شيء فيــه مخالفــة لأمر الله فهو معصية ويكون فاعله آثماً ومذنباً، فالذنوب والمعاصي تفســد القلب ويؤكّد ذلك قوله تعالى: "كَــلا بَــلْ رَانَ عَلَــى قُلُــوبِهِم مَّــا كَــانُوا يَكْسِبُونَ"[المطففين:١٤]. قال الحسن:"كلا هنا تعني حقاً ران على قلــوبهم"[١]. وقال مجاهد في الرّان:"هو الرّجل يذنب الذنب ثم يحيط الذنب بقلبه ثم يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه حتى تغشي الذنوب قلبه"[٢]. وقال الصّــنعاني عــن الرّان: "هو الذنب على الذنب حتّى يرين على القلــب فيســود" [٣]. فالــذنوب تغشي القلب وتجعله مسوداً. قال صلي الله عليه وسلم:"إن المؤمن إذا أذنــب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صــقل قلبــه فــإن زاد زادت، فذلك الرّان الذي ذكره الله في كتابه: "كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُــوبِهِم مَّــا كَانُوا يَكْسِبُونَ"[المطففين:١٤]"[٤]. وقال ابن القيم في الذنوب: "إنّهــا تصــرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، فلا يزال مريضاً معلــولاً

١. القرطبي. التّفسير، دار الشّعب القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ج١٩، ص٢٥٩.
٢. القرطبي. المرجع السّابق نفسه، ص٢٥٩.
٣. الصّنعاني. التّفسير، مكتبة الرّشد الرّياض، ط١، ١٤٣٠هـ، ج٣، ص٣٥٦.
٤. ابن ماجة. دار الفكر بيروت، بدون طبعة، (د. ت)، ج٢، ص١٤١٨.

لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه، فإن تأثير الذنوب فــي القلــوب كتأثير الأمراض في الأبدان بل الذنوب أمراض القلوب وداؤها، ولا دواء لها إلاّ تركها، وقد أجمع السّائرون إلى الله أن القلوب لا تُعطى مناها حتّى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتّى تكون صحيحة ســليمة، ولا تكــون صحيحة سليمة حتّى ينقلب داؤها فيصير نفس دوائها، ولا يصــح ذلــك إلاّ بمخالفة هواها، فهواها مرضها، وشفاؤها مخالفته، وهذا أمر لا يصدِّق به إلاّ من باشر قلبه هذا وهذا"[1].

من خلال الآيات والأحاديث سالفة الذكر نخلص إلى أن المعاصي أو الذنوب تفسد القلب وتجعله مسوداً مظلماً لا يرى الصّحيح من الخطأ، وذلك من آثار المعاصي عليه.

آثار المعاصي على القلب:

قال الامام ابن القيم وللمعاصي من الآثار القبيحــة المذمومــة، والمضــرة بالقلب والبدن في الدّنيا والآخرة ما لا يعلمه إلاّ الله فمنها[2]:

١/ حرمان العلم، فإن العلم نور الله يقذفه في القلب، والمعصية تطفئ ذلــك النّور وقد رُويّ أن الإمام الشّافعي لما جلس بين يدي مالك –رحمهمــا الله– وقرأ عليه أعجبه ما رأى من فطنته وذكائه، فقال له: "إنّي أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية" [3].

١. ابن القيم الجوزية. الدّاء والدّواء، دار المنــار القــاهرة، ط١، بــدون تــاريخ، ص٨٩.
٢. محمد متولي الشّعراوي. إصلاح القلوب، أعدّه وعلق عليه عبد الرّحيم محمــد متولي الشّعراوي، مكتبة التّوفيقية القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ص٨.
٣. المرجع السّابق، ص٢٢٨.

وقال الشّافعي[٤]:

*شكوت إلى وكيعٍ سوء حفظي * فأرشدني إلى ترك المعاصي*

*وقال اِعلم بأن العلـــــم فضل * وفضل الله لا يؤتاه عاصـــي*

٢/ حرمان الرّزق:كما أن التّقوى مجلبة للرزق فترك التّقوى مجلبة للفقــر، قال تعالى:"...وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا"[الطّلاق:٥].

٣/ في المعصية وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله.

٤/ ومن آثار المعصية وحشة تحصل بين العاصي والنّاس ولا ســيما أهــل الخير منهم، فإنه يجد وحشة بينه وبينهم كلما قويت تلك الوحشة بَعُدَ مــنهم ومن مجالستهم، وحُرِمَ بركة الانتفاع بهم وقرب من حزب الشّيطان، بقدر ما بعد من حزب الرّحمن.

٥/ تتعسر الأمور عليه لأن من يتقي الله يجعل له من أمره يسرا ومن عطَّل التّقوى جُعل له من أمره عسراً.

٦/ ومن آثار المعاصي ظلمة يجدها العاصي في قلبه يحس بها كما يحُــسُّ بظلمة الليل البهيم فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره

٧/ المعاصي توهن القلب والبدن فوهن القلب يكون في علو الآثام عليه وأما وهن البدن لأن قوته في قلبه.

٨/ المعصية تورث الذلَّ لأن العزَّ كل العزِّ في طاعة الله عزّ وجــل، قــال تعالى:"مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً"[فاطر:١٠].

---

٤. المرجع السّابق، ص٢٢٨.

قال عبد الله بن المبارك[1]:

رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوبْ وقد يورثُ الـــــــــذلَّ إدمانُها

وتــرك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عـــــــــــصيانُها

وهــل أفسد الدّين إلاّ الملوك وأحبار ســــــــــــوءٍ ورهبانُها

٩/ إذا تكاثرت الذنوب طُبِعَ على قلب صاحبها فكان من الغافلين وذلك لقوله تعالى:"كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ"[المطففين:١٤].

٢/ عدم إنكار المنكرات

الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر من القيم التّربوية التي حث عليها الإسلام لما لها من دور كبير في تعديل السّلوك في المجتمع الإسلامي ولا بد لأفراد المجتمع من القيام بهذا الدّور. قال الإمام الغزالي في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر هو"القطب الأعظم في الدّين والمهمة التي ابتعث الله لها النّبيين أجمعين،ولو طُوي بِساطَهُ وأُهمل عمله لتعطلتْ النّبوة واضمحلت الدّيانة، وعمت الفتنة وفشيت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخُرِّبت البلاد وهَلَكَ العِباد"[2] ولقد جاءت الكثير من الآيات والأحاديث النّبوية التي تحث على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر. قال تعالى: "وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"[آل عمران:١٠٤]، وقال تعالى:"كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ"[آل عمران:١١٠].

---

١. الشّعراوي. إصلاح القلوب، مرجع سابق، ص٣١.

٢. الإمام الغزالي. إحياء علوم الدّين، مرجع سابق، ج٢، ص٣٠٦.

وقد أمر الرّسول "صلى الله عليه وسلم" بالنّهي عن المنكر فقال "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[1]. فمن أستجاب لهذا النّداء وجد الأجر من عند الله وساهم في إصلاح المجتمع وتهذيبه ، ومن لم يستجب لهذا النّداء لم يجد الأجر بل من رأى منكراً ولم ينكره كان ذلك سببا في فساد قلبه وقد بين الرّسول صلى الله عليه وسلم أن من أسباب فساد القلب إلِفَ المنكرات والتّعود على مشاهدتها وعدم إنكارها فقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: "تُعرض الفتن على القلوب عرض الحصير فأيِّ قلبٍ أنكرها نُكِتَتْ فيه نكتة بيضاء وأي قلب أُشْرِبُها نكتت فيه نكتة سوداء حتّى يصير القلب على قلبين أبيض مثل الصّفاء لا يضره فتنة مادامت السّموات والأرض والآخر أسودٌ مِرْبِدْ كالكوذِ مجخياً وأمال كفه لا يعرف معروفا ولا ينكر منكراً إلاّ ما أُشْرِبَ من هواه"[2]

من الحديث أعلاه نلاحظ أن إنكار المنكر يؤدي إلى بياض القلب وصفائه وأن عدم إنكار المنكر يؤدي إلى سواد القلب وفساده، فعلي المسلم أن يعوِّد نفسه على إنكار المنكر وأن يسعى دائماً إلى تغييره وتعديله استجابة لأمر الرّسول صلى الله عليه وسلم وحتي لا يفسد قلبه ويسود حفاظاً على سلامة قلبه وصلاحه.

---

١. الإمام أحمد. المسند، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ، ج٣، ص٢٠.

٢.الإمام مسلم. الصّحيح، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ج١، ص١٢٨.

المبحث الثّالث

وسائل دخول الشّيطان للقلب

قال الإمام الغزالي رحمه الله "اِعلم أن القلب مثاله مثال حصن رفيع والشّيطان عدو يريد أن يدخل الحصن ويملكه ويستولى عليه. و لا يُقْدر على حفظ الحصن إلاّ بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواقع ثُلَمِــهِ، ولا يَقْــدر على حراسة أبوابه من لا يعرف أبوابه، وحماية القلب من فســاد الشّــيطان فرض عين وواجب على كل عبد مكلف، وما لا يتوصّل إلى الواجب إلاّ به فهو واجب، ولا يُتوصَّل إلى دفع الشّيطان إلاّ بمعرفــة مداخلــه، فصــارت معرفة مداخل الشّيطان واجبة" [1] وهنالك عدة وسائل يدخل بها الشّيطان لقلب الإنسان قال عنها عبد العزيز بن محمد السّلمان وجملتهــا وســائل عشــرة وهي[2]:

الوسيلة الأولى:

الحسد والحرص، فمن حصل فيه هاتان الخصلتان عمي وصُمَ، وهما من أعظم مداخل الشّيطان وأكبر وسائله. وقد روي أن نوحاً عليه السّلام لما ركب البحر وحمل في السّفينة من كل زوجين اثنين كما أُمــر فــرأى فــي السّفينة شيخاً لم يعرفه فقال له نوح "من أدخلك؟ قال دخلت لأصيب قلــوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك، فقال نوح:أخرج يا عدو الله فإنك رجيم، فقال إبليس خمس أُهلك بهن النّاس وسأحدثك منهن بثلاث، ولا أحدثك باثنتين، فأُوحي إلى نوح أنه لا حاجة لك إلى الثّلاث، مره يحدثك بالاثنتين،

---

١. الغزالي. مرجع سابق، ج٣، ص٣٥، بتصرف.
٢. عبد العزيز بن محمد السّلمان. سلاح اليقظــان لطــرد الشّــطان، السّــعودية، الرّياض، ١٤٢٨هـ، ط٣، ص٢٦.

فقال ما الاثنتان؟ قال:هما اللتان لا تكذبانى، بهم أُهلــكَ النّــاس الحــرص والحسد"[1].

الوسيلة الثّانية:

الشّهوة والغضب فإنهما من أعظم المكايد للشيطان، فمهما غضــب الإنسان لعب به الشّيطان.

الوسيلة الثّالثّة:

حب الشّهوات والزّينة في الدّنيا وفــي الثّيــاب والأثــاث والــدّور والمراكب، فإن الشّيطان إذا رأى ذلك غالباً على قلب إنســان بــاض فيــه وفرَخ.

الوسيلة الرّابعة:

الطّمع فإذا كان الطّمع غالباً على القلب لم يزل الشّيطان، يحسن لــه التّصنع لمن طمع فيه حتّى يصير المطموع فيه كأنه معبوده.

الوسيلة الخامسة:

العجلة في الأمور وكثرة الطّيش والفشل، وقد روي عن رســول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال "الأناة من الله والعجلة من الشّيطان"[2]

الوسيلة السّادسة:

الفتنة بالدّراهم والدّنانير وسائر أصناف المال.

---

١. المرجع السّابق نفسه، ص٢٧.

٢. البيهقي، السّنن الكبرى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م، بدون طبعة، ج ١٠، ص ١٠٤.

الفتنة بالأموال وسائر أصناف الدّنيا فهي أبواب ووسائل يدخل بهـا الشّيطان إلى قلب الإنسان وروي أن الرّسول صلى الله عليه وسلم لما بعـث قال إبليس لشياطينه:"لقد حدث أمر فانظروا ما هو، فانطلقوا ثم جاءوا وقالوا ما ندري قال إبليس:أنا آتيكم بالخبر فذهب وجاء، قال قد بُعث محمد صـلي الله عليه وسلم قال:فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب الرّسول صلي الله عليه وسلم، فينصرفون خائبين، فيقولوا ما صحبنا قوماً قط مثل هؤلاء، نصـيب منهم ثم يقومون للصلاة فيمحون ذلك. فقال إبليس:رويداً بهم عسـى الله أن يفتح لهم الدّنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم"[1].

الوسيلة السّابعة:البخل وخوف الفقر:

البخل هو أصل كل خطيئة، روي عن إبليس لعنة الله عليـه إنّـه قال:"ما غلبني ابن أدم فلن يغلبني في ثلاث، آمره أن يأخذ المال من غيـر حقه وينفقه في غير حقه ويمنعه من مستحقه"[2]، وقال سفيان الثّوري: "لـيس للشيطان سلاح على الإنسان مثل خوف الفقر"[3].

الوسيلة الثّامنة: سوء الظن بالمسلمين:

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّـنِّ إِنَّ بَعْـضَ الظَّنِّ إِثْمٌ..."[الحجرات:١٢].

١.عبد العزيز بن محمد السّلمان، سلاح اليقظان لطرد الشّيطان، مرجـع سـابق، ص٢٦.

٢. عبد العزيز بن محمد السّلمان. مرجع سابق، ص٢٧.

٣. المرجع السابق نفسه، ص٢٧.

الوسيلة التّاسعة:

الشّبع من الطّعام والتّأنق في المآكل الفاخرة، فــإن الشّــبع يقــوِّي الشّهوات وهي أسلحة الشّيطان التي بها يصول.

الوسيلة العاشرة:

تعاطي العوام الذين لم يمارسوا العلوم ولم يتبحَّروا فيها بالتّفكُّر في ذات الله عزّ وجلّ وصفاته وفي الأمور التي لا تبلغها عقولهم حتّى يــؤدي ذلك إلى الاِعتقادات الكفرية وهم لا يشعرون.

تلك وسائل عشرة يدخل بها الشّيطان إلى قلب الإنسان فعلى الإنسان أن يجتنب هذه الوسائل حتى يحافظ على قلبه فإن فعل ذلك يكون قد أغلــق مداخل الشّيطان إلى قلبه وصار من المفلحين الفائزين.

وسائل دفع الشّيطان عن القلب:

هنالك عِدّة وسائل لطرد الشّيطان ودفعه عن القلب منها التّضــرع إلى الله بالدّعاء لطرد الشّيطان، والاِجتهاد الدّائم في قلع الصّفات المذمومة عــن القلب والمداومة على ذكر الله تعالى.

قال عبد العزيز بن محمد السّلمان في وسائل طرد الشّيطان ودفعه فهذه دوافع ثلاثة نذكرها[1]:

وسيلة الدّفع الأولى:

تكون باللجوء إلى الله تعالى بالدّعاء راجياً منه تحصيل الألطــاف الخفية في إبعاد الشّياطين وإزالتّهم، وعن عبد الرّحمن بن أبي ليلي قال:"كان شيطان يأتي الرّسول صلي الله عليه وسلم وبيده شعلة نار فيقوم بــين يديــه

١. المرجع نفسه، ص٣١.

وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فأتى جبريل عليه عليه السّلام إلى النّبي صلي الله عليه وسلم فقال له قل أعوذ بكلمات الله التّامات التي لايجــاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها ومــا ينــزل مــن السّماء وما يعرج فيها، ومن شر فتن الليل والنّهار وطوارق الليل والنّهار إلاّ طارقاً يطرق بخير يارحمن، فطفيت شعلته وخرّ على وجهه"[1].

وسيلة الدّفع الثّانية:

تكون بالعناية في إزالة الصّفات المذمومة من القلب وقلعها منه فإن الشّيطان مثل الكلب في التّسلط على الإنسان، فإذا كان الإنسان متصفاً بهــذه الصّفات الذميمة من الغضب والحسد والحرص والطّمع وغيرها كان بمنزلة من يكون بين يديه خبز ولحم فإن الكلب لا محالة يتهور عليه ويتوثــب ولا يندفع غالباً إلاّ بمشقة شديدة، وإن لم يكن متصفاً بها لم يطمع فيــه لأنــه لا داعي له هناك ويكون دفعه بأسهل ما يكون وأيســره فإنــه ينــدفع بــالنّهرِ والزّجرِ، فتزال تلك الصّفات بنقائضها، فيزال الغضب بالرّضاء والسّــكينة ويزال الكِبْر بالتّواضع والحسد بمعرفة حق المحسود، وأنّ الذي أختص بــه فضل من الله فلا يمكن دفعه.

ويزال الطّمع بالورع والاكتفاء بما أعطــاه الله ويــزال الحــرص بتحقيق حال الدّنيا وانقطاعها بالموت، وهكذا تفعل في كل خصلة مذمومــة بالاجتهاد في إزالتّها.

---

١. المرجع السّابق نفسه، ص٣١.

وسيلة الدّفع الثّالثّة:

وهي ذِكْرُ الله تعالى وهو أحد الوسائل التي تــدفع الشّــيطان عــن القلب، وقد أشار إليه المولى عزّ وجلّ في قوله: "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَــواْ إِذَا مَسَّــهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ"[الأعراف:٢٠١] قــال عبــد العزيز بن محمد السّلمان في شرح هذه الآية "والمعني أنهم إذا ألمّ بقلــوبهم شيء من هذه الصّفات الذميمة فزعوا إلى ذكر الله تعالى وتذكروه، فعند ذلك يحصل التّبصر لهم في عواقب أمورهم، نعم الذكر لا يكون طارداً للشيطان إلاّ إذا كانت القلوب معمورة بالخوف والتّقوى، فأما إذا كانت خالية عن ذلك فربما يكون الذكر غير مجد، ومثال هذا من يطمع في شرب الــدّواء قبــل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الطّعام، ويطمع في أن ينفعه كما ينفع الذي يشربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة عن الأطعمة، فالذكر هو الدّواء والتّقــوى هي الاحتماء، فإذا حصل الذكر في قلب فارغ عن غير الذكر اندفع الشّيطان كما تندفع العلة بنزول الدّواء في معدة خالية عن الأطعمة"[١].

١. المرجع السابق نفسه، ص٣٢.

المبحث الرّابع

وسائل سلامة القلب

هنالك عدة وسائل تعمل على سلامة القلب وتزكيته وتطهيره حتّى يسعد الإنسان في هذه الحياة ويعيش آمناً مرتاح البال غانماً ويصعب تعداد الوسائل التي تؤدي إلى سلامة القلب ولكن إجمالاً يمكن أن نقول كل الطّاعات والأعمال الصّالحة تؤدي إلى سلامة القلب، وهنا في هذا المبحث يحاول الباحث أن يقف على بعض الوسائل التي تؤدي إلى سلامة القلب والتّي منها:

١/ الذكر:

يطلق مصطلح الذكر في القرآن والسّنة ليدل على ثلاثة معانٍ، هي[١]:

الأول: القرآن وما يتضمنه من توجيهات ومعارف مثل قوله تعالى:"...وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"[النّحل:٤٤].

الثّاني: التّسبيح باسم الله مثل قوله تعالى:"... إِنَّ الصّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ..."[العنكبوت:٤٥].

الثّالث: التّذكير والتّوعية والتّعليم بشكل عام مثل قوله تعالى:"إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ"[ص: ٨٧] والمراد بذكر الله تعالى كل العبادات والأفعال الحاوية لأسماء الله وصفاته مثل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر

١. ماجد عرسان الكيلاني. مناهج التّربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ط١، الإمارات العربية، ٢٠٠٥م، ص٢٤٠.

بجانب العبادات من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍ وزكاةٍ وكلّ ما يجعل الإنسان فــي معيّة الله.

فالذكر مهم في حياة المؤمن وله دور كبيــر فــي ســلامة القلــب وطهارته قال تعالى:"... أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ"[الرّعد:٢٨]. وقال صلي الله عليه وسلم عن دور الذكر في سلامة القلب: "لكلّ شــيءٍ صــقالة. وإنّ صقالة القلوب ذكر الله عزّ وجلّ وما من شيء أنجى من عذاب الله عزّ وجلّ من ذكر الله عزّ وجلّ قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال:ولو أن يضرب بسيفه حتّى ينقطع"[١]. وقال صلي الله عليه وسلم: "إنّ للقلوب صــدأً كصدأ النّحاس وجلاؤها الاستغفار"[٢].

والذكر يلين القلب إذ رُوي أن رجلاً شكا إلى الحسن قسوة قلبه فقال له:"أدنه من الذكر"[٣]. أي قربه بمعني أذكر الله، والذكر يؤدي إلــى خشــوع القلب قال لقمان الحكيم لابنه:"يا بني أكثر من ذكر الله – عزّ وجلّ – فإن الله ذاكر من ذكره، وعليك بمجالسّة أهل الذكر فإنها محياة للعلم وتحــدث فــي القلوب خشوعا"[٤]. وقد ذكر الشّيخ البرعي أن من فوائد الذكر طهارة القلــب وتنويره إذ قال[٥]:

---

١. المنذري. التّرغيب والتّرهيب ج٢،ط١،دار الكتب العلمية بيــروت ١٤١٧هـــ، ص٢٥٤.

[٢] الجرجاني. الكامل في ضعفاء الرّجال، ط، دار الفكــر بيــروت ١٩٨٨، ج٧٣ ص٧٨.

٣. محمد متولي الشّعراوي. مرجع سابق، ص٢٥٠.

٤. محمد خير رمضان. لقان الحكيم وحكمه، ط٢، دار القلــم دمشــق، ١٩٩٤م، ص١٢٤.

٥. عبد الرّحيم محمد وقيع الله. ديوان رياض الجنة ونــور الدّجنــة، ط١، بيــت الثّقافة، السّودان، ١٩٩١م ص٦٢.

طهر جنانك بالأذكار مع فيـــــــكا وزل بها كل عيب كامن فيـكا
الذكر خير أنيس تستريـــــــح به وهو الذي بكؤوس الحب يسقيـكا
الذكر خير من الإنفاق من ذهــب ومن جهاد وعتق عنه ناهيـــكا
الذكر روضة خلد فارتعـــــن بها وأترك مجالسّ قوم عنه تلهيـــكا
الذكر يجلو قلوباً بالهوي صدئت وخير داعٍ إلى الرّحمن داعيـــكا
الذكر نور مفاض في السّريرة من فيض الذي برأ الأكــوان يأتيكــا

وقال ابن القيم:وفي الذكر أكثر من مائة فائدة وفيمــا يلــي يتنــاول الباحث بعضاً منها[1]:

الأولى :أنه يطرد الشّيطان عن القلب.

الثّانية :أنه يرضي الرّحمن عز وجل.

الثّالثّة :أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

الرّابعة:أنه يجلب الفرح والسّرور.

الخامسة:أنه يقوي القلب والبدن.

السّادسة:أنه ينور الوجه والقلب.

السّابعة:أنه يورث حياة القلب.

الثّامنة :أنه قُوتُ القلب والرّوح.

التّاسعة:أنه يورث جلاء القلب من صدئه.

خلاصة القول في الذكر أن له فوائد عظيمة تؤدي إلى سلامة القلب وطهارته وجلائه من الذنوب وتنويره وإزالة الهم والغم عنه وغير ذلك مــن الفوائد العظيمة التي تؤدي إلى إصلاح القلب وســلامته، فعلــي المســلم أن

١. ابن القيم. الوابل الصّيب، ط ٢، المطبعة المنبرية، القاهرة، ١٣٧٢هـ، ص٥٣.

يواظب على الذكر ويحافظ عليه لما فيه من فوائد عظيمة لســلامة القلــب وإصلاحه.

٣/ طيب المطعم:

نعني بطيب المطعم، المطعم الحلال وهــو مــا أحلتــه الشّــريعة الإسلامية، وحصلنا عليه بطريقة لا حرمة فيها وذلك كالكسب من الزّراعــة والتّجارة والصّناعة وغيرها من الوظائف والأعمال التي أباحها الشّرع وقد حث الله سبحانه وتعالي على المطعم الطّيب فقال تعالى:"يا أيها الذين أمنــوا كلوا من طيبات ما رزقناكم"[البقرة: ١٧٢].

وقال صلي الله عليه وسلم:"من أكل الحلال أربعين يومــاً نــور الله قلبــه، وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه" [١] وقال الإمام الغزالي "اِعلــم أن طيب المطعم له خاصية عظيمة في تصفية القلب وتنويره وتأكيد اســتعداده لقبول أنوار المعرفة" [٢]. وقال عمر بن صالح الطّرسوسي: "ذهبت إلى أبــي عبد الله وهو أحمد بن حنبل – فسألته:بم تلين القلوب، فأبصر إلى أصحابه، ثم أطرق ساعة ثم رفع رأسه، فقال:يا بني، بأكل الحلال" [٣].وأكــل الحــلال يكفر الذنوب، قال سفيان الثّوري رحمه الله:"من أنفق الحرام في الطّاعة كمن طهر الثّوب بالبول، والثّوب لا يطهره إلاّ الماء، والذنب لا يكفره إلاّ الحلال"

١. العراقي. المغني، مكتبة طبرية، الرّياض، ١٩٩٥م، ط ١، ج ١، ص ٤٣٥.
٢. الإمام الغزالي. الأربعين في أصول الدّين، الجيــل بيــروت، ١٩٩٨م، بــدون طبعة، ص ٤٩.
٣. الإمام أبو زهرة. ابن حنبل حياته وعصــر، دار الفكــر العربــي، القــاهرة، ١٩٩٧م، بدون طبعة، ص ٧١.

[1] وقال الحسن:"وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها، ويَعْرِفُ ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتّجربة بعد شهادة الشّرع، ولذلك قال بعضهم: كم من أكلة منعت قيام الليل"[2].

من خلال النّصوص والآثار سالفة الذكر عن طيب المطعم أو الأكل من الحلال نلحظ أن الأكل الحلال يؤدي إلى سلامة القلب وتصفيته ونقائه وينوِّره ويُجري ينابيع الحكمة فيه وأنّ أكل الحلال يلين القلب ويجعله مستعداً لقبول أنوار المعرفة والعلم، وهذه فوائد عظيمة ينالها من حرص على طيب المطعم والأكل الحلال

٣. غض البصر:

غض البصر هو واحد من وسائل سلامة القلب وزكاته وغض البصر ليس على إطلاقه ولكن عن المحرمات. قال تعالى:"قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ"[النّور:٣٠] وقال ابن القيم: "جعل الله سبحانه وتعالي العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته"[3] من قول ابن القيم أعلاه تتضح لنا أهمية غض البصر في زكاة القلب وسلامته، وقد أورد الإمام ابن القيم في كتابه طب القلوب إحدى عشرة فأئدةٌ لغض البصر إذ

١. الذهبي. الكبائر، دار النّدوة الجديدة بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ، ص ١٢٠.
٢. أحمد فريد. البحر الرّايق في الزّهد والرّقائق، طباعة لجنة مسلمي أفريقيا، الكويت، (د. ت)، ج١، ص١١٧.
٣. ابن القيم، طب القلوب، دار الدّعوة الكويت، ط٢، ١٩٩٠م ج٣، ص١٣٩.

قال: "ودعني أفصل لكم فوائد غض البصر فكم نحن وأنتم بحاجة لها فإن غض البصر يوجد فوائد عظيمة الخطر هي[1]:-

الفائدة الأولى: حلاوة الإيمان ولذته التي هي أحلى وأطيب وألذ مما صرف بصره عنه وتركه لله فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله عزّ وجلّ خيراً منه، والعين رائد القلب فإذا كف الرّائد عن الكشف والمطالعة استراح القلب من كُلفةِ الطّلب والإرادة.

الفائدة الثّانية: تخليص القلب من ألم الحسرة، فمن أطلق نظره دامت حسرته فأضرّ شيء على القلب إرسال البصر، فإنه يريد ما يشتد طلبه ولا صبر له عليه ولا وصول له إليه، وذلك غاية ألمِهِ وعذابهِ، والنّظرة تفعل في القلب ما يفعل السّهم في الرّمية، فإذا لم تقتله جرحته وهي بمنزلة الشّرارة من النّار ترمى في الحشيش اليابس فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه كما قيل[2]:

كل الحوادث مبدأها من النّظر ومعظم النّار من مستصغر الشّرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السّهام بلا قوس ولا وتر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغيد موقوف على الخطر

يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

الفائدة الثّالثّة:أنه يورث القلب نوراً وإشراقا يظهر في العين والوجه والجوارح كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه

١. المرجع السّابق نفسه، ص ١٤٠.
٢. ابن القيم، المرجع السابق، ص ١٤١.

الفائدة الرّابعة:أنه يورث صحة الفراسة فإنها من النّور وثمراته فإذا استنار القلب صحت الفراسة لأنه يصير بمنزلــة المــرآة المجلــوة تظهــر فيهــا المعلومات كما هي، والنّظر بمنزلة التّنفس فيها، فإذا أطلــق العبــد نظــره تنفست نفسه الصّعداء في مرآة قلبه فطمست نورها كما قيل"[1].

مرآة قلبك لا تريك صلاحه والنّفس فيها دائماً تتنفس

وقال شجاع الكرماني: "من عمّر ظاهره بإتباع السّنة وباطنه بــدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشّهوات وأكــل مــن الحلال لم تخطئ فراسته"[2].

الفائدة الخامسة:أنه يفتح له طريق العلم وأبوابه ويسهل عليه أسبابه وذلــك بسبب نور القلب فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات وتكشّفت لــه بسرعة، ونفذ من بعضها إلى بعض ومن أرسل بصره تكدّر عليه قلبه وأظلم وأنسد عليه باب العلم وطرقه وتأكيد ذلك قوله تعالى:"...وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"[البقرة:٢٨٢].

الفائدة السّادسة:أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل لــه ســلطان البصيرة مع سلطان الحجة قال بعض الشّيوخ "النّاس يطلبون العز بــأبواب الملوك ولا يجدونه إلاّ في طاعة الله، ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعــه فيه، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه"[3].

---

١. المرجع السّابق نفسه، ص ١٣٩.
٢. المرجع السّابق نفسه، ص ١٤٠.
٣. ابن القيم، المرجع السّابق، ص١٤١.

الفائدة السّابعة: أنه يورث القلب سروراً وفرحة، وانشراحاً أعظم من اللــذة والسّرور الحاصل بالنّظر، وذلك لقدرة عدوِّه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه، وأيضا أنه لما كف لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرة نفسه الأمارة بالسّــوء أعاضه الله سبحانه مسرة ولذة أكمل منها.

الفائدة الثّامنة:أنه يخلِّص القلب من أَسْرِ الشّهوة؛ فإنّ الأســير هــو أســير شهوته وهواه ومتي أَسَرَتِ الشّهوة والهوى القلب تمكن منه عــدوّه وســامه سوء العذاب.

الفائدة التّاسعة:أنه يسد عنه باباً من أبواب جهنم فإن الشّهوة حاملــة علــى مواقعة الفعل، وتحريم الرّب تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول، فمتى هتك أحد الحجاب أعتاد على المحظور.

الفائدة العاشرة: أنه يقوِّي عقله ويزيده ويثبِّته، فإنّ إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلاّ من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب فإن خاصية العقل ملاحظة العواقب، ومرسل النّظر لو علم ما تجني عواقب النّظرة عليه لمــا أطلق بصره.

الفائدة الحادية عشرة:أنه يخلِّص القلب من سكر الشّهوة ورقدة الغفلة، فــإن البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدّار الآخرة، ويوقع في سكرة العشق كما قال تعــالى عــن عشــاق الصّــور: "لَعَمْــرُكَ إِنَّهُــمْ لَفِــي سَــكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ"[الحجر:٧٢] ، فالنّظرة كأس من خمر والعشــق هــو ســكر ذلــك الشّراب، وسُكر العشق أعظم من سُكر الخمر لأن ســكران الخمــر يفيــق

وسكران العشق قلما يفيق ولنا في مجنون ليلي وغيره مــن العشــاق مثــلٌ وعِبَر.

٤. الجوع:

الجوع أو عدم الشّبع هو واحد من الوسائل التي تساعد في تزكية القلب عن الأخلاق المذمومة وقد ورد عن السّلف الكثير من الأقوال التي تنهي عن الشّبع وتبين فضيلة الجوع قال عمر بن الخطاب "إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة نتن في الممات"[١] وقال لقمان لابنه "يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة و خَرُستْ الحكمة"[٢]، وقال أبو سليمان "الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه إلاّ من أحبه"[٣]. قال الإمام الغزالي "لعلك تشتهي أن تعلم السّر في تعظيم الجوع ومناسبته لطريق الآخرة فاعلم أن له فوائد كثيرة ولكن يرجع أصولها إلى سبع"[٤].

الأولي: صفاء القلب ونفاذ البصيرة، فإن الشّبع يورث البلادة ويعُمي القلــب ولا يخفى أن مفتاح السّعادة المعرفة ولا تنال إلاّ بصفاء القلب.

الثّانية: رقة القلب حتى يدرك به لذة المناجاة ويتأثر بالذكر والعبادة، وقــال الجنيد:"يجعل أحدكم بينه وبين قلبه مخلاة من الطّعام ويريد حلاوة المناجاة"[٥].

١. الإمام الغزالي. إحياء علوم الدّين، ج٣، مرجع سابق، ص٩٠.
٢. المرجع السّابق، ص٩٠.
٣. المرجع السّابق، ص٩٠.
٤. الإمام الغزالي، كتاب الأربعين في أصول الدّين، مرجع سابق، ص ٧٩.
٥. المرجع السّابق نفسه، ص٧٩.

الثّالثّة: ذُل النّفس وزوال البَطَرِ والطّغيان منها، فلا تكسر الــنّفس بشــيءٍ كالجوع، والطّغيان داع إلى الغفلة عن الله تعالى وهو باب الجحيم والشّقاوة ، والجوع إغلاق لهذا الباب.

الرّابع: إن البلاء من أبواب الجنة لأن فيه مشاهدة طعم العذاب وبه يعظــم الخوف من عذاب الآخرة ولا يقدر الإنسان على أن يعــذب نفســه بشــيء كالجوع.

الخامسة: وهي من كبار الفوائد ــ كسر شهوات المعاصي و الاستيلاء على النّفس الأمارة بالسّوء، وكسر موائد الشّهوات التي هي منابع المعاصي قــال على رضي الله عنه "ما شبعت قط إلاّ عصيت أو هممت بالمعصية" [1] وقالتّ عائشة رضي الله عنها "أول بدعة حدثت بعد رسول الله – صلى الله عليــه وسلم – الشّبع، إن القوم إذا شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى الدّنيا" [2]

السّادسة: خفة البدن للتهجد والعبادة وزوال النّوم المانع من العبــادة، فــإن رأس مال السّعادة العمر، والنّوم ينقص العمر إذ يمنع من العبادة، وأصــله كثرة الأكل، قال أبو سليمان الدّاراني "من شبع دخلت عليه ست آفــات:فَقْــدْ حلاوة العبادة، وتَعذُّر حفظ الحكمة، وحرمان الشّفقة على الخلــق، لأنــه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباعاً، وثِقْلُ العبادة، وزِيادةِ الشّهوات، وأن ســائر المؤمنين يدورون حول المساجد وهو يدور حول المزابل[3]".

١. الإمام الغزالي، كتاب الأربعين في أصول الدّين، مرجع سابق، ص ٨٠.
٢. المرجع السّابق، ص ٨٠.
٣. المرجع السّابق، ص ٨١.

السّابعة:خفة المؤنة وإمكان القناعة بقليل من الدّنيا، فإن من تخلص من شَرَهِ بطنه لم يفتقر إلى مال كثير. قال الشّاعر[1]:

دواء القلب خمسة عند قسوته فدم عليها تفز بالخـــير والظفر

خلاء بطن، وقرآن تدبُّره كذا تضرع باكٍ ساعــة السّحــر

كذا قيامك جنح الليل أوسطه وأن تجالسّ أهل الخير والخبر

تلك فوائد الجوع أو عدم الشّبع فهي فوائد عظيمة ينالها من اقتصد في المأكل، فالاقتصاد في المأكل يؤدي إلى سلامة القلب وصلاحه.

١. محمد متولي الشّعراوي. مرجع سابق، ص٢٧٢،

الخاتمة:

حاول الباحث في هذه الدّراسة أن يقف على أســباب فســاد القلــب وأسباب سلامته وصلاحه، وفي ختامه توصل للنتائج التّالية:-

١. من أهم أعضاء الإنسان قلبه فهو مصدر حياته وسبب موته.

٢. القلوب ثلاثة أقسام وهي:-

"أ" القلب الصّحيح "ب" القلب المريض "ج" القلب الميت.

٣. سلامة القلب وحياته أساسها عمل الطّاعات.

٤. أبرز مفسدات القلب هي المعاصي وإتيان الذنوب.

٥. وسائل دخول الشّيطان للقلب كثيرة وأبرزها الحسد والحــرص وحــب الشّهوات والطّمع والبخل وسوء الظن بالنّاس.

٦. يُدفع الشّيطان عن القلب باللجوء إلى الله تعالى بالدّعاء والذكر.

أهم التّوصيات:

في ختام هذه الدّراسة تقدم الباحث بعدد من التّوصيات وهي علــى المؤمن أن:-

١. يعمل على سلامة قلبه والمحافظة عليه وذلك بالابتعاد عن المعاصي وما يؤدي إليها.

٢. يتعرف على وسائل سلامة القلب وأن يلتزم بها والتّي مــن أبرزهــا ؛ الذكر وطيب المطعم وغض البصر وغيرها.

٣. ألا ينسى أنّ الشّيطان هو عدوه الأول، ويسعى دائماً إلى دخــول قلبــه، وتضليله عن الصّراط المستقيم؛ فعليه أن يقف على بــاب قلبــه ويســدّ مداخل الشّيطان إليه.

والله أساله التّوفيق،،،

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. إبراهيم مصطفي وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدّعوة، ج٢.

٣. ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشّيطان، مكتبة الصّــفاء، القــاهرة، ٢٠٠١م، (د.ط).

٤. ابن القيم الجوزية، الدّاء والدّواء، دار المنار القاهرة، ط ١، (د.ت).

٥. ابن القيم، طب القلوب، دار الدّعوة الكويت، ط٢، ١٩٩٠م ج٣.

٦. ابن القيم، الوابل الصّيب، المطبعة المنبرية، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ.

٧. ابن ماجة، دار الفكر بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج٢، ١٤١٨.

٨. أبو منصور، تهذيب اللغة، ج٩، دار أحياء التّراث العربــي بيــروت، ط١، ٢٠٠١م.

٩. أحمد فريد، البحر الرّايق في الزّهد والرّقائق، طباعــة لجنــة مســلمي أفريقيا، الكويت، (د. ط).، (د.ت)، ج١.

١٠. الإمام أبو زهرة، ابن حنبل حياته وعصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م، (د.ط).

١١. الإمام أحمد، المســند، دار الفكــر، بيــروت، (د.ط)، و(د.ت)، ط١، ١٩٨٦، ج ٣.

١٢. الإمام الغزالي، أحياء علوم الــدّين، ج٣، دار جيــل بيــروت، (د.ط) و(د.ت).

١٣. الإمام الغزالي، الأربعين في أصــول الــدّين، دار الجيــل، بيــروت، ١٩٩٨م، (د.ط).

١٤. الإمام مسلم، الصّحيح، دار إححياء التّراث العربي، بيــروت، (د. ط)، (د.ت)، ج١.
١٥. البخاري، الصّحيح، دار ابن كثير اليمامة، لبنان، لبنان، ١٩٨٧م، ط٣، ج١.
١٦. البيهقي، السّنن الكبرى، مكتبة دار البــاز، مكــة المكرمــة، ١٩٩٤م، (د.ط).، ج١٠.
١٧. الجرجاني، التّعريفــات، ج١، دار الكتــاب العربــي، بيــروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
١٨. الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرّجال،ج٧، دار الفكر بيروت ١٩٨٨م، ط٣.
١٩. حسن إبراهيم، مقدمة في فلسفة التّربية الإسلامية، عالم الكتب للنشــر والتّوزيع، الرّياض، ١٩٨٥م، (د.ط).
٢٠. الذهبي، الكبائر، دار النّدوة الجديدة بيروت، (د.ط)، (د.ت).
٢١. صلاح الدّين عوض محمد، منهج الإسلام فــي التّزكيــة والإصــلاح، المركز القومي للإنتاج الإعلامي، (د.ط)، (د.ت).
٢٢. الصّنعاني، التّفسير، مكتبة الرّشد الرّياض، ط ١، ١٤٣٠هــ، ج ٣.
٢٣. عبد الرّحيم محمد وقيع الله، ديوان رياض الجنة ونور الدّجنــة، بيــت الثّقافة، السّودان، ط ١، ١٩٩١م.
٢٤. القرطبي، التّفسير، دار الشّعب القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ج١٥.
٢٥. عبد العزيز بن محمد السّلمان، سلاح اليقظان لطرد الشّطان، السّعودية، الرّياض، ١٤٢٨هــ، ط٣.

٢٦. ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التّربية الإسلامية والمربــون العــاملون فيها، الإمارات العربية، ط١، ٢٠٠٥.
٢٧. مجلة دراسات دعوية، جامعة أفريقيا العالمية، العــدد (١٦) يوليــو – ديسمبر ٢٠٠٨م.
٢٨. محمد خير رمضان، لقمان الحكيم وحكمه، دار القلم دمشــق، ١٩٩٤م، ط٢.
٢٩. محمد متولي الشّعراوي، إصلاح القلوب، أعدّه وعلّق عليه عبد الرّحيم محمد متولي الشّعراوي، مكتبة التّوفيقية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
٣٠. المنذري، التّرغيب والتّرهيب ج٢، ط١، دار الكتب العلميــة بيــروت ١٤١٧هـ.